

قصص الأنبياء

قال اﻻ تعالى : { وإذ قال موسى لفتهاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا * فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا * فلما جاوزا قال لفتهاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا * قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا * قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا * فوجدا عبدا من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما * قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا * قال إنك لن تستطيع معي صبرا * وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا * قال ستجدني إن شاء اﻻ صابرا ولا أعصي لك أمرا * قال فإن اتبعيني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا * فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال أخرجتها لتغرق أهلكها لقد جئت شيئا إمرا * قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا * قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا * فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا * قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا * قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا * فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا * قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا * أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا * وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا * فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما * وأما الجدار فكان لغلामين يتييمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبرا } .

قال بعض أهل الكتاب : إن موسى هذا الذي رحل إلى الخضر هو موسى بن منسا بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل وتابعهم على ذلك بعض من يأخذ من صحفهم وينقل عن كتبهم منهم نوف بن فضالة الحميري الشامي البكالي ويقال إنه دمشقي وكانت أمه زوجة كعب الأخبار .

والصحيح الذي دل عليه سياق القرآن ونص الحديث الصحيح الصريح المتفق عليه : أنه موسى بن عمران صاحب بني إسرائيل .

قال البخاري : حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو بن دينار قال : أخبرني سعيد بن

جبر قال : قلت لابن عباس : إن نوحا البكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو صاحب بني إسرائيل فقال ابن عباس : كذب عدو الله حدثنا أبي بن كعب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : [إن موسى قام خطيبا في بني إسرائيل فسئل : أي الناس أعلم ؟ فقال : أنا فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه فأوحى الله إليه إن لي عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك قال موسى : يارب فكيف لي به ؟ قال : تأخذ معك حوتا فتجعله في مكمل فحيثما فقدت الحوت فهو ثم فأخذ حوتا فجعله في مكمل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع ابن نون حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما واضطرب الحوت في المكمل فخرج منه فسقط في البحر واتخذ سبيله في البحر سربا وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما .

حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه : { آتينا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا } قال ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمره الله به فقال له فتاه : { أرايت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجا } قال : فكان للحوت سربا ولموسى ولفتاه عجا فقال له موسى : { ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا } .

قال : فرجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة فإذا رجل مسجى بثوب فسلم عليه موسى فقال الخضر وأنى بأرضك السلام ؟ قال : أنا موسى قال : موسى بني إسرائيل ؟ قال : نعم أتيتك لتعلمني مما علمت رشدا : { قال إنك لن تستطيع معي صبرا } يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه أنت وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه . فقال موسى : { ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا } .

فقال له الخضر : { فإن اتبعني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا * فانطلقا } يمشیان على ساحل البحر فمرت بهما سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول فلما ركبا في السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد قلع لوحا من ألواح السفينة بالقدوم فقال له موسى : قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها { لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا * قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا * قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا } .

قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فكانت الأولى من موسى نسيانا قال : وجاء عصفور فوق على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة فقال له الخضر : ما علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من هذا البحر ! .

ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشیان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر رأسه بيده فاقتلعه بيده فقتله فقال له موسى : { أقتلت نفسا زكية بغير نفس

لقد جئت شيئا نكرا * قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا { قال : وهذه أشد من الأولى { قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا } .
{ فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض { قال : مائل فقام الخضر { فأقامه { بيده فقال موسى : قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا { لو شئت لاتخذت عليه أجرا * قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك { إلى قوله : { ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبرا { فقال رسول الله ﷺ : وددنا أن موسى كان صبرا حتى يقص الله علينا من خبرهما] .

قال سعيد بن جبیر : فكان ابن عباس يقرأ : " وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا " وكان يقرأ : " وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين " .
ثم رواه البخاري أيضا عن قتيبة عن سفيان بن عيينة بإسناده نحوه وفيه : " فخرج موسى ومعه فتاه يوشع بن نون ومعهما الحوت حتى انتهيا إلى الصخرة فنزلا عندها قال ؟ فوضع موسى رأسه فنام " .

قال سفيان : وفي حديث غير عمرو قال : وفي أصل الصخرة عين يقال لها الحياة لا يصيب من مائها شيء إلا حيا فأصاب الحوت من ماء تلك العين قال : فتحرك وانسل من المكنل فدخل البحر فلما استيقظ قال موسى لفتاه : { آتنا غداءنا لقد لقينا 00 { الآية وساق الحديث . وقال : ووقع عصفور على حرف السفينة فغمس منقاره في البحر فقال الخضر لموسى : ما علمي وعلمك وعلم الخلائق في علم الله ﷻ إلا مقدار ما غمس هذا العصفور منقاره وذكر تمام الحديث .
* * *

وقال البخاري : حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا هشام بن يوسف : أن ابن جريج أخبرهم قال : أخبرني يعلى بن مسلم وعمرو بن دينار عن سعيد بن جبیر يزيد أحدهما على صاحبه وغيرهما قد سمعته يحدثه عن سعيد بن جبیر قال : إنا لعند ابن عباس في بيته إذ قال : سلوني فقلت : أي أبا عباس - جعلني الله فداك - بالكوفة رجل قاص يقال له نوف يزعم أنه ليس بموسى بنى إسرائيل أما عمرو فقال لي فقال : قد كذب عدو الله ﷻ وأما يعلى فقال لي : قال ابن عباس : حدثني أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ : موسى رسول الله ﷻ قال : ذكر الناس يوما حتى إذا فاضت العيون وركت القلوب ولى فأدركه رجل فقال : أي رسول الله ﷻ ! هل في الأرض أحد أعلم منك ؟ قال : لا فعتب الله ﷻ عليه إذ لم يرد العلم إلى الله ﷻ وقيل : بلى قال : أي رب فأين ؟ قال : بمجمع البحرين قال : أي رب اجعل لي علما أعلم ذلك به قال لي عمرو : قال : حيث يفارقك الحوت وقال لي يعلى : قال : خذ نونا ميتا حيث ينفخ فيه الروح .

فأخذ حوتا فجعله في مكنل فقال لفتاه : لا أكلفك إلا أن تخبني بحيث يفارقك الحوت قال : ما كلفت كثيرا فذلك قوله جل ذكره : { وإذ قال موسى لفتاه { يوشع بن نون ليست عن سعيد

بن جبير قال بينما هو في ظل صخرة في مكان ثريان إذ تضرب الحوت وموسى نائم فقال فتاه لا أوقظه حتى إذا استيقظ نسي أن يخبره وتضرب الحوت حتى دخل البحر فأمسك ا [عنه جرية البحر حتى كان أثره في حجر قال لي عمرو : هكذا كان أثره في حجر وحلق بين إبهاميه واللتين تليانهما .

{ لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا } قال : قد قطع ا [عنك النصب ليست هذه عن سعيد أخبره فرجعا فوجدا خضرا - قال لي عثمان بن أبي سلمان - عن طنفسة خضراء على كبد البحر قال سعيد بن جبير مسجى بثوبه قد جعل طرفه تحت رجليه وطرفه تحت رأسه فسلم عليه موسى فكشف عن وجهه وقال : هل بأرضي من سلام ؟ من أنت ؟ فقال : أنا موسى قال : موسى بني إسرائيل ؟ قال : نعم قال : فما شأنك ؟ قال : جئتك لتعلمني مما علمت رشدا قال : أما يكفيك أن التوراة بيدك وأن الوحي يأتيك ؟ يا موسى إن لي علما لا ينبغي لك أن تعلمه وإن لك علما لا ينبغي لي أن أعلمه فأخذ طائر بمنقاره من البحر فقال : وا [ما علمي وعلمك في جنب علم ا [كما أخذ هذا الطائر بمنقاره من البحر .

{ حتى إذا ركبا في السفينة } وجد معابر صغارا تحمل أهل هذا الساحر إلي أهل هذا الساحل الآخر عرفوه فقالوا : عبد ا [الصالح قال : فقلنا لسعيد : خضر ؟ قال : نعم لا نحمله بأجر فخرقها ووتد فيها وتدا { قال { موسى : { أخرجتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا { قال مجاهد : منكرا ؟ { قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا { كانت الأولى نسيانا والوسطى شرطا والثالثة عمدا { قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا * فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله { قال يعلى قال سعيد : وجد غلاما نا يلعبون فأخذ غلاما كافرا طريفا فأضجعه ثم ذبحه بالسكين { قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس { لم تعلم . بالخبيث وكان ابن عباس قرأها : زكية زاكية مسلمة كقولك : غلاما زكيا .

فانطلقا { فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه { قال سعيد بيده هكذا ورفع يده فاستقام قال يعلى : حسبت أن سعيدا قال : فمسخ بيده فاستقام : { قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا { قال سعيد أجرا نأكله .

{ وكان وراءهم } كان أمامهم قرأها ابن عباس : أمامهم ملك يزعمون عن غير سعيد أنه " هدد بن بدد " والغلام المقتول اسمه يزعمون " جيسور " { ملك يأخذ كل سفينة غصبا { فأردت إذا هي مرت به أن يدعها لعيبها فإذا جاوزوا أصلحوها فانتفعوا بها ومنهم من يقول : سدوها بقارورة ومنهم من يقول بالقار .

{ وكان أبواه مؤمنين } وكان كافرا { فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا { أي يحملهما حبه على أن يتابعاه على دينه { فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة { لقوله : { أقتلت نفسا زكية { { وأقرب رحما { هما به أرحم منهما بالأول الذي قتل الخضر .

وزعم غير سعيد بن جبير أنهم أبدلا جارية وأما داود ابن أبي عاصم فقال غير واحد : إنها جارية .

وقد رواه عبد الرزاق عن معمر عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : خطب موسى بنى إسرائيل فقال : ما أحد أعلم بأى وبأمره مني فأمر أن يلقي هذا الرجل فذكر نحو ما تقدم .

وهكذا رواه محمد بن إسحاق عن الحسن بن عمار عن الحكم ابن عيينة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ كنحو ما تقدم أيضا .

ورواه العوفي عنه موقوفا وقال الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس : أنه تمارى هو والحر بن قيس بن حصن الفزاري في صاحب موسى فقال ابن عباس : هو خضر فمر بهم أبي بن كعب فدعاه ابن عباس فقال : إني تماريت أنا وصاحبي هذا في صاحب موسى الذي سأل السبيل إلى لقياه فهل سمعت من رسول الله ﷺ فيه شيئا ؟ قال : نعم وذكر الحديث . وقد قمينا طرق هذا الحديث وألفاظه في تفسير سورة الكهف والله الحمد .

وقوله : { وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة } قال السهيلي : وهما أصرم وصريم ابنا كاشح { وكان تحته كنز لهما } قيل كان ذهباً قاله عكرمة وقيل علما قاله ابن عباس والأشبه أنه كان لوحا من ذهب مكتوبا في علم قال البزار : حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا بشر بن المنذر حدثنا الحارث بن عبد الله اليحصبي عن عياش بن عباس الغساني عن ابن حجر عن أبي ذر رفته قال : [إن الكنز الذي ذكره الله ﷻ في كتابه لوح من الذهب مصمت مكتوب فيه : عجبت لمن أيقن بالقدر كيف نصب ؟ وعجبت لمن ذكر النار لم ضحك ؟ وعجبت لمن ذكر الموت كيف غفل ؟ لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ] .

وهكذا روى عن الحسن البصري وعمر مولى غفرة وجعفر الصادق نحو هذا .

وقوله : { وكان أبوهما صالحا } قيل إنه كان الأب السابع وقيل العاشر وعلى كل تقدير : فيه دلالة على أن الرجل الصالح يحفظ في ذريته والله المستعان .

وقوله : { رحمة من ربك } دليل على أنه كان نبيا وأنه ما فعل شيئا من تلقاء نفسه بل بأمر ربه فهو نبي وقيل رسول وقيل ولي وأغرب من هذا من قال إنه كان ملكا قلت وقد أغرب جدا من قال هو ابن فرعون وقيل إنه ابن ضحاك الذي ملك الدنيا ألف سنة .

قال ابن جرير : والذي عليه جمهور أهل الكتاب أنه كان في زمن " أفريدون " ويقال إنه كان على مقدمة ذي القرنين الذي قيل إنه كان أفريدون وذو الفرس هو الذي كان في زمن

الخليل وزعموا أنه شرب من ماء الحياة فخلد وهو باق إلى الآن .

وقيل إنه من ولد بعض من آمن بإبراهيم وهاجر معه من أرض بابل وقيل اسمه " ملكان " وقيل " أرميا بن حلقيا " وقيل كان نبيا في زمن سباسب بن بهراسب .

قال ابن جرير : وقد كان بين أفريدون وبين سباسب دهور طويلة لا يجهلها أحد من أهل العلم بالأنساب قال ابن جرير والصحيح أنه كان في زمن أفريدون واستمر حيا إلى أن أدركه موسى عليه السلام وكانت نبوة موسى في زمن " منو شهر " الذي هو من ولد أبرج بن أفريدون أحد ملوك الفرس وكان إليه الملك بعد جده أفريدون لعهدده وكان عدلا وهو أول من خندق الخنادق وأول من جعل في كل قرية دهقانا وكانت مدة ملكه قريبا من مائة وخمسين سنة ويقال إنه كان من سلالة إسحاق بن إبراهيم .

وقد ذكر عنه من الخطب الحسان والكلم البليغ النافع الفصيح ما يبهر العقل ويحير السامع وهذا يدل على أنه من سلالة الخليل وا﷑ أعلم .

وقد قال ا﷑ تعالى : { وإذ أخذ ا﷑ ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين } .

فأخذ ا﷑ ميثاق كل نبي على أن يؤمن بمن يجيء بعده من الأنبياء وينصره واستلزم ذلك الإيمان وأخذ الميثاق لمحمد A لأنه خاتم الأنبياء فحق على كل نبي أدركه أن يؤمن به وينصره فلو كان الخضر حيا في زمانه لما وسعه إلا اتباعه والإجماع به والقيام بنصره ولكان من جملة من تحت لوائه يوم بدر كما كان تحتها جبريل وسادات من الملائكة .

وقصارى الخضر عليه السلام أن يكون نبيا وهو الحق أو رسولا كما قيل أو ملكا فيها ذكر وأيا ما كان فجبريل رئيس الملائكة وموسى أشرف من الخضر ولو كان حيا لوجب عليه الإيمان بمحمد ونصرته فكيف إن كان الخضر وليا كما يقوله طوائف كثيرون ؟ فأولى أن يدخل في عموم البعثة وأخرى ولم ينقل في حديث حسن بل ولا ضعيف يعتمد أنه جاء يوما واحدا إلى رسول ا﷑ A ولا اجتمع به وما ذكر من حديث التعزية فيه وإن كان الحاكم قد رواه فإسناده ضعيف وا﷑ أعلم وسنفرد لخضر ترجمة على حدة بعد هذا